تشارلز تاور راسل
ورجال شهود يهوه

ألهمت طائفة السبتيين العديد من القادة والأئمة الذين تزعموا العديد من المذاهب التى خرجت عن العقيدة المسيحية وحاربتها بقوة من أجل نشر أفكارها ومعتقداتها.. وكان تشارلز راسل واحدا من هؤلاء استطاع أن يجد لنفسه مكانا فى ساحة المدعين ويبتدع لنفسه عقيدة جديدة اقتبس بعضها من فكر السبتيين المجيئى لتتوافق أفكاره مع الحركة الصهيونية فى ذلك الوقت التى كانت تسعى لإقامة دولة إسرائيل اليهودية على أرض فلسطين.. وكان من نتيجة ذلك التوافق أن حظيت عقيدة تشارلز راسل بدعم هائل ورعاية فائقة كانت من نتيجتها ولادة مذهب شهود يهوه الصهيونى والذى يعد من أخطر المذاهب المنحرفة عن الدين المسيحى على الإطلاق فهو يهدم العقيدة المسيحية من أساسها ويسعى لدعم فكر استيطانى استعمارى وتوفير الدعم والخلفية الدينية له من أجل تثبيت أقدامه ومنحه شرعية من الله.

برع تشارلز راسل نبى شهود يهوه وإمامها فى تنفيذ مهمته التى أكملها من بعده بعض من أتباعه الأوفياء لعقيدته وفكره.

ولد تشارلز راسل عام ١٨٥٢ فى ولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية وتحديدا فى مدينة بتسبرج.. فى عائلة مسيحية متدينة كان والده يعمل تاجرا للسجاد وعندما بلغ التاسعة من عمره عرف الحزن والألم بعد وفاة أمه وحرص والده على تنشئته على المذهب البروتستانتى وكان يحرص على اصطحابه إلى الكنيسة وتأديته للصلوات.. والاستماع إلى العظات والدروس الدينية.. وهاله ما سمعه عن عذاب الخطاة بعد الموت وتعرضهم لصنوف العذاب فى العالم الآخر..

وكان يطارده دائما خوفه ورعبه من الموت الذى اختطف أمه وحرمه منها.. انتقل تشارلز من مرحلة الطفولة إلى الشباب وهو مضطرب القلب يعانى من الخوف من الموت والحياة الأخرى ودفعه ذلك الإحساس الذى طارده منذ طفولته إلى دراسة الكتاب المقدس.. وسرعان ما شعر أنه لا يجد ما يبحث عنه فى صفحات الإنجيل.. وظل حائرا حتى حضر ذات يوم اجتماعا «للسبتيين» استمع فيه إلى أحد دروسهم الذى تعرف فيه على عقيدتهم التى تؤمن بأن الخاطئ ينتهى أمره بعد موته وأن موته هو العقاب فالمؤمنون سيعودون مع المسيح أما الخطاة فسينتهى أمرهم بالموت ولا وجود للعقاب والعذاب بعد الموت ولا يوجد عقاب سينتظره ويخلد فيه. وانبهر «راسل» بتلك التعاليم التى توافقت مع ما يتمناه ووجدت لديه قبولا أنهى مخاوفه التى طاردته فى سنوات طفولته وشبابه من خوفه من الموت وما بعده..

واظب «راسل» على حضور دروس السبتيين واستمع فيها إلى عظات «جوناس فاندل» وهو يتحدث عن عودة المسيح وقيام مملكته والهلاك النهائى.. واستقرت نفس «راسل» تماما فلقد وجد ما يبحث عنه.. وبسرعة شديدة عرف الفتى الذى كان يتميز بالذكاء الشديد تاريخ السبتيين وزعمائهم فوجد أن الفرصة سانحة أمامه.. فبدأ بالابتعاد عن الناس.. وتفرغ لدراسة التوراة ونبوءاتها التى تتحدث عن الرسل وعودة المسيح ليخرج بعد ذلك من عزلته ويعلن تخليه عن المذهب البروتستانتى وأيضا عن عقيدة السبتيين وادعى أنه مكلف بكشف القناع عن افتراءات وتعاليم المسيحية السائدة التى يملؤها الزيف.

كان عمره ثمانية عشر عاما عندما أعلن عن رسالته الإلهية وبأنه الخادم المخلص والحكيم «لوقا» وأنه يمتلك القدرة على تفسير النبوءات ومعرفة ما ستحمله السنوات القادمة من أحداث.. ووجد «تشارلز راسل» من يستمع إليه فى مجتمع لم يكن يتعجب أو ينكر ظهور أمثاله من المدعين فلقد سبق وآمن كثيرون بأمثاله من المدعين الذين كانوا يسحرون عقول البسطاء بفكرة نهاية العالم وعودة المسيح.. وعندما وجد «راسل» قبولا لدعوته.. تعمق فى دراسة التوراة وأحاط

نفسه بهالة من الغموض وبجرأة شديدة كان يتحلى بها خرج مرة أخرى ليعلن لأتباعه أنه أوصى إليه بأنه النبى السابق لمجىء المسيح وأن لديه مهمة يجب أن يقوم بها وهى التبشير بعودة المسيح القريبة إلى الأرض.. فألهب مشاعر أتباعه بعد أن أبلغهم أن الله قد وكل إليه أمر نقل رسالته إلى العالم الذى تسلطت عليه ظلما وبهتانا فكرة العذاب بعد الموت والعقاب الأبدى.

وزاد عدد المؤمنين به بعد أن ضمن لهم أنه لا يوجد عذاب بعد الموت وأن من يتبعه سيعود معه إلى مملكة المسيح واستشهد بالتوراة وهو يعلن بصوت قوى بين أتباعه مرددا «أنا ملاك الرؤيا السابع الذى يسكب على الأرض كأس غضب الله السابعة».

ودعم راسل دعوته بأن وضع أسس عقيدته التى تقوم على عودة المسيح وقيام مملكته فى القدس فى سبعة مجلدات حوت أفكاره وأطلق عليها «بحوث كتابية» وأطلق عليه أتباعه لقب (القس) وتحول «راسل» الذى بدأ حياته بالخوف من الموت إلى داعية استطاع نشر مذهبه فى سنوات قليلة وذاع صيته بين المنظمات الصهيونية وأطلق راسل فى البداية على مذهبه اسم (الراسليون) أو (الدارسون الجدد للكتاب المقدس) وبذل جهدا خارقا فى الدعوة والتأليف وتدعيم دينه الجديد الذى انتشر بسرعة فوضع تنظيما إداريا لمعاونته فاستعان بسبعين رجلا من أشد أتباعه إيمانا وإخلاصا لأفكاره وأطلق عليهم (مكتب راسل للمحاضرات الكتابية) وجعلهم دعاته لنشر أفكاره فى الولايات المتحدة الأمريكية وباقى دول العالم ثم أنشأ بعد ذلك «مكتب راسل المساعد للمحاضرات الكتابية» مكونا من سبعمائة تابع لمساعدة ومساندة السبعين داعية ومتابعتهم وكتابة الأبحاث والتقارير عن المذهب والأتباع الجدد..

وابتكر راسل أسلوبا بسيطا لنشر مذهبه على نطاق واسع فأسس مجلة أطلق عليها أول الأمر برج المراقبة الصهيونية عام ١٨٧٩ ثم عاد وغير اسمها إلى برج المراقبة حتى لا تنكشف طبيعة علاقته السافرة بالمنظمات الصهيونية وكان ينشر فيها تفسيراته ونبوءاته وتعاليم دعوته لتكون وسيلة سهلة وسريعة ومؤثرة لنشر

أفكاره.. التى كان يدعى أنه يستلهمها عن طريق الوحى وكان دائما ما يدعى معرفته وإجادته للغات العبرية والعربية واليونانية.. وكان يستعين بنصوص لاتينية قديمة دليلا على توسعه فى علوم الكتاب المقدس بلغته الأصلية وقدرته على تفسيره بما يتوافق مع قواعد مذهبه وفى خطوة هامة ومؤثرة فى تاريخ المذهب الذى سيعرف بعد ذلك بشهود يهوه أعلن «راسل» فى عام ١٨٨٠ أن المسيح سيأتى عام ١٩١٤ ليحقق نبوءة حاكمية الله يهوه رب إسرائيل ويقيم حكومته الدينية التى تديرها هيئة من الكهنة كنواب عن الله ومقر هذه الحكومة هو جبل صهيون والشعب الوحيد الذى ستتاح له رؤية هذه الحكومة والحياة السعيدة فى ظلها هو شعب الله المختار شعب إسرائيل فهو الشعب الوحيد الذى سيسمح له الله بالبقاء على الأرض بعد أن يبيد جميع الشعوب ويقضى على الأنظمة المعينة للأمم.. وسيبدأ التحضير لهذه المرحلة بدءا من عام ١٩١٤..

وازدادت شعبية «راسل» بعد أن حظى بدعم المنظمات الصهيونية التى وجدت فى أفكاره دعما هائلا لتنفيذ المخطط الصهيونى فى الاستيلاء على فلسطين فدعموه بقوة وأمدوه بالأموال اللازمة لأسفاره وتنقلاته ونشر أفكاره حتى أنه استطاع أن يؤلف حوالى نصف مليون صفحة وألقى أكثر من ٣٠٠ ألف محاضرة وعظة.. ووسط كل هذا المجد الذى حققه راسل كان فى النهاية إنسانا يخضع لأهوائه ونزاوته التى وجد لها مكانا وسط كل هذا النشاط الدعوى.. فلم تكن حياته الزوجية سعيدة تماما مع زوجته «مارى فرنسيس ألكى» التى تزوجها عام ١٨٧٩ ورافقته طوال رحلته الدعوية وفى مساندته فى ادعائه بأنه نبى مرسل للتبشير بعودة المسيح.. وكانت واحدة من أشد المؤمنين بدعوته حتى رأت بعينيها خيانة النبى الدجال.. فقد وقع الرسول المزعوم فى حب «روزبال» أمينة سر جمعيته وسكرتيرته المقربة وأقام معها علاقة عرفت زوجته بأمرها ولم تجرؤ على مراجعته خوفا من قوته وسطوته حتى عندما فاجأته فى غرفة الخادمة (إميلى ماتوفير) لم تجرؤ على فضح أمره.. فهو له الحق فى أن يفعل ما يشاء بعد أن حمل الرسالة من الله.. وازدادت الضغوط على مارى التى لم تحتمل خيانات

زوجها المتكررة والتى تجعله بعيدا عن منظومة الأخلاق والدين خاصة أنها كانت شاهدة على حيلته الكبرى فى ادعائه النبوة.. ولم يحتمل «راسل» ثوراتها وحالات الهياج العصبى التى كانت تنتابها وتهديداتها المستمرة له بفضحه فكان ينهال عليها بالضرب.. وفى عام ١٩٠٣.. ازدادت الضغوط على مارى فتقدمت إلى المحكمة تطالب بالطلاق من راسل لخيانته المتكررة لها والتى تحملتها طوال سبعة وعشرين عاما هى عمر زواجها منه وأنها اتخذت قرار اللجوء إلى المحكمة بعد أن أصبحت قادرة على ذلك فهى أيضا تلقت رسالة من الله وأصبحت «نبية» تمتلك القوة لمجابهة راسل ومواجهته والتخلص منه.. ولم يشفع لها ادعاؤها بأنها هى أيضا «نبية» لتحصل على الطلاق فقد كان نفوذ «راسل» واسعا واتهمها بالجنون وفقدان العقل ولم تستسلم مارى وتمسكت بطلب الطلاق لمدة ثلاث سنوات كاملة حتى حصلت عليه وكانت فى حاجة شديدة إلى المال فواصلت نضالها للحصول على معاش شهرى لها من «راسل» الذى تهرب من ذلك بأن تبرع بكل ثروته التى كانت تبلغ وقتها مائة مليون فرنك فرنسى للجمعية وبعدها بست سنوات أى فى عام ١٩١٢ استردها ثانية..

وانتهت مشاكل «راسل» مع زوجته ليبدأ الاستعداد لاستقبال المسيح فى عودته إلى الأرض وتزايد نشاط أتباعه ودعائه وأثار هذا النشاط بعض الغيورين على دينهم وعقيدتهم فاستطاعوا أن يقدموه إلى المحاكمة عام ١٩١٣ فى بلدة هملتون التابعة لمقاطعة «اونتاريو» بكندا.. وتم اتهامه بالدجل والشعوذة والادعاء وحاول الادعاء أن يؤكد دعواه بأنه جاهل ولا يعلم شيئا عن اللاهوت ولا يفقه حرفا واحدا من اللغات التى ادعى أنه يقرأ بها فما كان من القاضى إلا أن قدم له الكتاب المقدس باللغة اليونانية.. فأمسكه بالمقلوب ليفتضح أمره وليعيده إلى القاضى بهدوء يحسد عليه وقال له لا أستطيع أن أقرأ فأنا لا أعرف اليونانية.. ووجد بعد ذلك مخرجا أمام أتباعه.. فادعى أنه وقت ما يقرأ باليونانية يسانده الوحى فى ذلك فصدقه أتباعه وسانده الحكماء السبعون الذين كانوا يتولون أمر التحضير له والقراءة والترجمة باليونانية.

ومع علو مكانته الدينية والروحية لدى أتباعه كان «راسل» زبونا دائما لدى المحاكم بتهم متعددة ولكنه كان يمتلك مقدرة غير عادية على التخلص من أصعب المشكلات بسهولة فائقة وكان خبيرا فى تنمية ثروته والحصول على المال بأى طريقة حتى لو كان ذلك عن طريق الاحتيال.. وهو ما برع فيه.. فبعد أن أصبح رسولا لديه قدرة على التنبؤ ومعرفة الغيب.. كان من الطبيعى أن يكون كل ما يتعلق به مباركا فكان يمتلك العديد من الأراضى الزراعية التى يقوم بزراعتها له أتباعه حتى يحصلوا على رضاه.. فزرعوا له القمح فادعى أن ما يزرع فى أرضه تحل عليه بركة «يهوه» وأن من يشترى منه ذلك القمح المبروك سيحصل على ثروة لأنه قمح مبارك.. وتسابق البسطاء للحصول على قمحه فباعه لهم بأضعاف أضعاف السعر الذى كان يباع به فى ذلك الوقت.. وانتظر المشترون أن تحل البركة على القمح وتزداد كمياته ويحققوا الثروة التى وعدهم بها فلم يحدث شىء.. فما كان من الفلاحين الذين وقعوا فى حبائله إلا أن طالبوه برد أموالهم.. فرفض فلجأوا إلى القضاء لتصدر المحكمة حكمها بأن ما تعرضوا له عملية احتيال وألزمت «راسل» برد الأموال إلى أصحابها..

ولم تكد تهدأ عملية الاحتيال التى تورط بها حتى حل عام ١٩١٤ موعد تحقق نبوءته وبدلا من عودة المسيح نشبت الحرب العالمية الأولى.. ليحيط الشك «براسل» ودعوته ونبوءته فما كان منه إلا أن أعلن أن قيام الحرب ما هو إلا مقدمة لعودة المسيح وبدء فناء الأرض.. وأن الحرب والدمار والموت هو الدليل على عودة المسيح.. وزاد على ذلك بإعلانه أن المسيح عاد إلى الأرض سرا.. وأن بداية تدمير الأرض وفنائها قد تحقق بالفعل فى نشوب الحرب التى لن ينجو منها إلا شعب يهوه.. شعب الله المختار..

وكالمعتاد صدقه أتباعه وآمنوا بأقواله.. ووعدهم بأنهم سيرون المسيح فى عام ١٩١٨.. وقبل أن يأتى الموعد الذى حدده.. مات «راسل» عام ١٩١٦.. بعد أن استطاع أن يؤسس مذهبا منحرفا تماما عن العقيدة المسيحية ويجمع من حوله الأتباع والمؤمنين به ووضع لهم قواعد دقيقة وصارمة ولم ينهر المذهب أو يصيبه

الضعف من بعده بل ازداد قوة ورسوخا على يد خليفته «جوزيف راذر فورد» الذى ورث عن معلمه كل وسائل الاحتيال والقدرة على التأثير فى الآخرين.

ويعد «جوزيف» امتدادا لراسل وأفكاره وزاد عليه بأنه أسهم فى وضع قواعد أكثر دقة فى التبشير بمذهبهم وفى عهده أصبحت الجماعة تعرف باسم «شهود يهوه» بدلا من «الراسليين» أو «تلاميذ التوراة» أو «تلاميذ برج المراقبة» أو «تلاميذ فجر الألف سنة».

ولد جوزيف فردريك راذر فورد بميسورى بالولايات المتحدة الأمريكية فى ٨ يناير عام ١٨٦٩.. وما إن خرج من أطوار الطفولة حتى افتتن بتعاليم «راسل» بعد أن استمع إلى محاضراته.. ولم يتركه من وقتها وأصبح تابعا مخلصا له يؤمن بكل ما يردده.. ويسعى لتأكيده لدى الآخرين واختاره «راسل» ليكون تلميذه الأقرب لديه فكان لا يفارقه أبدا خاصة بعد أن اكتشف قدراته الفائقة فى الاحتيال والتخلص من أصعب المواقف وأيضا إيمانه القوى به واشتدت حاجة راسل إليه بعد تورطه فى العديد من القضايا والاتهامات فجعله يتفرغ لدراسة القانون وأوكل إليه مهمة متابعة القضايا والرد على الاتهامات التى تثار ضده.. وقام جوزيف بتنفيذ تلك المهمة ببراعة شديدة والتحق بوظيفة كاتب محكمة فاكتسب خبرة هائلة فى التعرف على ثغرات القوانين وكيفية الالتفاف حولها.. وعندما أصبح عمره ٢٧عاما التحق بنقابة المحامين فى مدينة بونفيل بمقاطعة ميسورى.. ومارس المحاماة.. وأصبح المستشار القانونى لراسل وللطائفة.. وساعده نظام ميسورى القانونى فى أن يحصل على لقب «قاض» الذى أصبح معروفا به ويسبق اسمه وكان ذلك النظام ينص على انتخاب أحد المحامين ليقوم بأعمال القاضى الأصلى إذا ما تغيب القاضى عن الحضور لأى سبب.. وفى إحدى المرات تم اختيار جوزيف ليقوم بدور القاضى الذى تغيب لأربعة أيام.. فحمل من بعدها اللقب.

بذل جوزيف جهودا هائلة لتدعيم قواعد مذهب الراسليين مع أستاذه ومعلمه راسل حتى استحق أن يتم انتخابه كرئيس لجماعة (الراسليين) بعد وفاة تشارلز راسل عام ١٩١٦ واحتفالا بتنصيبه ألقى كلمة بين أتباعه قال فيها «إن كل سلطة

دينية أو زمنية هى من صنع إبليس.. وأن المسيح سيعود مرة ثانية فى هذا الزمن ويشطب من صحيفة الوجود «الأديان الزائفة» المنتشرة فى العالم منذ القدم.. وأن واسطة النجاة من تلك الموقعة العتيدة هى الانتساب إلى «الراسلية» ووقف النفس على نشرها بالدعوة والوعظ»..

كانت خطبته تأكيدا على اعتناقه فكر الشهود الصهيونى الذى سعى جوزيف إلى نشره فقد كان أكثر نشاطا من أستاذه راسل فأسس مجلة جديدة تسمى "العهد الذهبى" واستمر فى إرسال الدعاة إلى كل بلدان العالم.. وفى عام ١٩١٨ واجه جوزيف مشكلة معقدة كان قد ورثها عن أستاذه راسل الذى كان قد تنبأ بعودة المسيح عام ١٩١٤ وعندما لم تتحقق النبوءة واندلعت بدلا منها الحرب العالمية الأولى قال راسل إن هذه الحرب دليل على عودة المسيح الذى جاء فى الموعد متخفيا ولكنه سيعود للظهور عام ١٩١٨.. ومات راسل قبل أن تتحقق نبوءته وواجه جوزيف هذه الأزمة بقوة وثبات.. بل اقتبس ما قال به أستاذه من قبل وادعى أن المسيح قد حضر بالفعل ولكن فى هيئة غير منظورة وأنه دخل هيكل الله فى احتفال مهيب فى الملكوت ولكنه ينتظر عودة وزرائه الذين سيعاونونه فى الحكم وهم من يطلق عليهم فى المسيحية الآباء إبراهيم وإسحق ويعقوب الذين سيقيمون مع المسيح المملكة الدينية وسيتحقق ذلك فى عام ١٩٢٥.. ومن أجل هذا ادعى جوزيف أنه لابد أن يقيم لهم مكانا لائقا لإقامتهم.. فبنى لهم قصرا عظيما فى «سان دياجو» بولاية كاليفورنيا وأطلق عليه اسم (بيت ساريم) أى قصر الأمراء وأعده جوزيف ليستقبل فيه إبراهيم وإسحق ويعقوب ليكون مقرا لإقامتهم.. ومرت السنون تباعا.. وحل عام ١٩٢٥.. واستعد أتباع الراسليين لاستقبال الآباء.. ولم يأت أحد.. ومرة أخرى خرج جوزيف من هذا المأزق وادعى أن الآباء قد حضروا بالفعل بهيئة غير منظورة وأنه هو الوحيد القادر على معرفة ذلك ولا أحد غيره يستطيع رؤيتهم أو التعامل معهم.. وصدقه أتباعه كالمعتاد.. وأصبح الأتباع أكثر نشاطا.. لكى يترقوا فى الجماعة وتعلو مكانتهم حسب الشروط التى وضعها راسل وحافظ عليها جوزيف فكان على التابع أن يدرس ما لا يقل عن عشرين

ساعة كل شهر حتى يستطيع أن يدخل فى نظام الترقى من خلال مراحل متعددة من التجارب والاختبارات فعلى قمة النظام الذى وضعه الراسليون تبدأ من رئيس المركز أو الفرع والذى يتبعه مسئولون لديهم اختصاصات محددة.. فموجه عام المنطقة وهو الذى يتولى ترجمة قرارات وأوامر الرئيس إلى الواقع العملى ومراقبة تطبيقها ثم موجه عام الشعبة ويتولى تدبير شئون الوعظ والإدارة والتنسيق بين الفروع ثم خادم ولاية المنطقة.. ويتولى دراسة الكتاب المقدس ونقل التوجيهات من أعلى لأسفل.

ويلعب المسئول الذى يحمل لقب خادم الحى أو ناظر الحى دورا مهما ومؤثرا فى جماعة الراسليين التى ستحمل بعد ذلك اسم شهود يهوه.. وهذا المسئول هو الذى يتعامل مع الدعاة والمبشرين مباشرة وينظم لهم أمورهم ويتولى تثقيفهم ومتابعتهم فى تحركاتهم الدعوية الخاصة جدا والتى ابتدعها مؤسس الجماعة. فيتبع خادم الحى المبشرون الرواد والمبشرون شارحو الكتاب.. ومجموعة أخرى يطلق عليهم اسم خدم الجماعة وهم الذين يتولون إعداد النشرات والمطبوعات لتوزيعها وتوصيلها لأصحابها وتلبية استفساراتهم والإجابة على حاجاتهم ويأتى الدور بعد ذلك على أكثر الأعضاء نشاطا أو خلية النحل فى الجماعة وهم يتبعون أيضا خادم الحى ويطلق عليهم مخابرو الجماعة.. وهم مجموعة مختلطة من النساء والفتيات والرجال والفتيان.. وهم الذين يتولون مهمة الدعوة ونشر الفكر فى الطرقات والأماكن العامة والمنازل.. وهو أسلوب ابتكرته جماعة الراسليين.. واستطاعوا من خلاله نشر دعوتهم على نطاق واسع.. فيحمل شاب وفتاة مجموعة من مطبوعات الجماعة وكتبهم وأعدادا من مجلة برج المراقبة وقبل ذلك كله الكتاب المقدس.. وكانا يطرقان الأبواب ويبدآن بالحديث عن الكتاب المقدس وتعاليمه وعندما يجدان آذانا صاغية يبدآن بشرح بعض تعاليم المذهب والتبشير بعودة المسيح ثم يعرضان بيع مطبوعات الجماعة بأسعار زهيدة للغاية رغم التكلفة المرتفعة للمطبوعات.. ويمكن لهما أيضا أن يمنحا تلك المطبوعات بدون مقابل إذا كانت الأسرة التى يحدثونها فقيرة.. واتسعت الجماعة عن طريق نشر هذه

المطبوعات وبقوة وإيمان ونشاط أتباعه المخلصين فأصبح لديهم دور نشر عملاقة ومطبعة كل العاملين فيها يعملون تطوعا بدون أجر وأصبح المركز الرئيسى لشهود يهوه فى بروكلين بنيويورك يضم مئات الأشخاص الذين تقل أعمارهم عن ٢٥ سنة ويعملون بغير تحديد لساعات العمل لصالح الجماعة بالإضافة إلى كثيرين يكرسون كل جهودهم للعمل المجانى فى مكاتب ومطابع الجماعة.

وأصبح التفانى والإخلاص الشديد للجماعة ومذهبها وفكرها سمة من سمات الراسليين حتى أن كتب راسل كان قد وزع منها حتى موته أكثر من ٢٠٠مليون نسخة وهو رقم هائل يدل على نشاط وإخلاص الأتباع واستمر هذا النشاط فى حياة جوزيف حتى أنه باع أكثر من ٢٢مليون نسخة من أحد مؤلفاته فى عام واحد.. ومع تزايد حركة توزيع مطبوعات الجماعة تم افتتاح فروع لها فى كثير من بلاد العالم لنشر تعاليمهم وفى عام ١٩٣١ عقد جوزيف راذر فورد اجتماعا عالميا فى ولاية أوهايو أطلقوا على أنفسهم الاسم الذى نعرفه بهم الآن وهو «شهود يهوه» مستندين إلى آية وردت فى نبوة أشعيا «تسمين باسم جديد يعينه فم الرب» وآية أخرى فى نبوة أشعيا تقول «أنتم شهودى» وقال كذلك «وتكونون لى شهودا» واعتبروا أن هذه الآيات تخصهم وتشير إليهم وإلى أفكارهم.. وعرفوا بعد ذلك به..

واستمر نشاط جوزيف فى نشر أفكاره التى استطاع أن يترجمها إلى ٨٨ لغة عالمية وأصبحت هذه الأفكار محددة بدقة واكتمل إطارها الفكرى لتصاغ فى مؤلفات جوزيف التى بلغت ٧٠ مؤلفا و٣٣ رسالة.. حوت آراء الجماعة فى الأديان الأخرى وفى قواعد مذهبهم الذى أسسه راسل.. فقالوا إن المسيحية ديانة زائفة وأسرارها من وحى الشيطان والبابا هو المسيخ الدجال ورفضوا الإيمان بالتثليث (الأب ـ الابن ـ الروح القدس) وهى أصل العقيدة الإيمانية المسيحية وقالوا إن يسوع كان إنسانا فقط ولم يكن مركبا من إله وإنسان فى وقت واحد وأن المسيح لم يدع أبدا أنه الله وأنه قتل مثل البشر ولا يمتلك نفسا خالدة ومن ضمن أقوالهم «مات يسوع على الصليب كإنسان.. ويجب أن يبقى ميتا كإنسان إلى الأبد»..

ويؤكد «شهود يهوه» أنه لا مكان فى عقيدتهم لمعنى خلود النفس الإنسانية ونادوا أيضا ببطلان الوصايا العشر الشهيرة ورفضوا تماما تعميد الأطفال والاعتراف للكهنة وقالوا فى ذلك فى كتاب «كشف القناع»: «إن الاعتراف للكهنة ليس طريق الغفران.. فلا الكاهن ولا الجماعة من الكهنة لهم أدنى سلطان على مغفرة خطايا الإنسان ولا يرون أى قيمة لتناول القربان.. وأكد الشهود فى أفكارهم فى تفسيراتهم للكتاب المقدس الكثير من الأمور التى تهدم العقيدة المسيحية من أساسها فرفضوا قضية الرهبانية تماما وأكدوا أن الرسل قد تزوجوا وأحلوا الطلاق ووقفوا موقفا متشددا من الصليب وصور القديسين ورأوا أنها أمور أقرب إلى الوثنية وعبروا عن ذلك بقولهم «كثير من الممارسات الوثنية أدخلت بين المسيحيين»..

ولم يسلم الإسلام منهم، فهم منذ البداية حكموا على كل الأديان بأنها من صنع إبليس وأن ديانتهم ومذهبهم هو الحقيقة الوحيدة فوصفوا الإسلام بأنه مذهب يشبه البوذية وأن رسالة «شهود يهوه» هى تدمير جبال العالم ما عدا مملكة صهيون ووصفوا الحركة الصهيونية بأنها حركة إلهية وهرتزل أبوالصهيونية مرسل من الله ومبارك والصهيونية ستزيل الديانات كلها لأنها وثنية.

ولم تقتصر دعوة شهود يهوه على العالم الغربى والمسيحى فقط بل استطاع «جوزيف» أن يصل بنشاط منظمته إلى المنطقة العربية ففى عام ١٩٢٠.. تم إنشاء أول مركز لهم فى الوطن العربى ببيروت وتولى هذا الفرع نشر فكر الشهود وتأييد الصهيونية بقوة ورغم أنهم عملوا بدون الحصول على تصريح رسمى إلا أنهم استطاعوا أن يتوسعوا فى نشاطهم وينشئوا ثلاثة مراكز لهم فى بيروت وآخر فى دمشق حتى تسللوا إلى مصر بداية من عام ١٩٣٥ وأسست الجماعة على يد عامل مقهى يونانى اسمه «بنايوتى اسبيرو بولو» الذى اعتنق المذهب عن طريق أحد الإيطاليين وبدأ «بنايوتى» فى نشر أفكارهم وتعرض للهجوم الشديد عليه مما دفعه إلى رفع عدد من القضايا باسمه مدافعا عن آرائه ومذهب «الشهود» ولكنه خسرها جميعا.. وشعر أنه يتلقى هجوما مضاعفا لكونه أجنبيا ففكر فى

الاستعانة بأحد المصريين حتى لا تحيطه الشكوك.. فعين «أنيس فايق» عامل ببنك الكريدى ليونيه.. رئيسا للجمعية ونقلوا مركزها من مقرها الأول بجزيرة بدران بشبرا إلى ١٥٣ شارع رمسيس.. حيث افتتحوا مركزهم الرئيسى على اعتبار أنهم جمعية خيرية واتخذوا لهم فرعا ثانيا فى رقم ٥ شارع سليمان الحلبى.. ونشطوا فى الدعوة حتى نجحوا فى أن يضموا إليهم عددا كبيرا من المصريين واليونانيين وبدأوا يعقدون اجتماعاتهم الرسمية مساء الخميس والأحد من كل أسبوع.. وتزايد نشاطهم حتى افتتحوا مكتبا جديدا لهم فى ٤٥ شارع سعد زغلول بالإسكندرية ونشط الدعاة عندما وجدوا أن عددا كبيرا من أقباط الإسكندرية انضموا إلى الشهود فافتتحوا لهم مكاتب فى طنطا وكان رئيس فرعهم هناك هو «كامى اسباتيان» وفى المنيا «اجيبو ميخائيل» وفى السويس «فؤاد نبيل» وحلمى عازر وفى أسيوط عبدالملاك جرجس.

كون شهود يهوه فى الأربعينيات وبداية الخمسينيات شبكة هائلة من الدعاة والأتباع تحت ستار الأعمال الخيرية والتسلل لنشر المذهب فى هدوء بالأسلوب المعتاد لهم بالمرور على المنازل اثنين.. اثنين واجتذاب الأعضاء الجدد لسماع المحاضرات فى المقر الرئيسى بشارع رمسيس والذى كانت تعلوه يافطة نحاسية كتب عليها اسم شهود يهوه باللغات الثلاث الإنجليزية والفرنسية والعربية.. وظل نشاطهم فى ازدياد.. حتى نجح الأستاذ محمد وجدى قنديل عام ١٩٥٥ وكان صحفيا شابا بمجلة آخر ساعة فى فضح أمرهم والتحذير من أفكارهم الصهيونية بعد أن تسلل إلى اجتماعاتهم وحذر من أنشطتهم وكشف الغطاء عن طبيعة مذهب الشهود.

تم إيقاف نشاط هذه الجماعة فى مصر فى عهد الرئيس جمال عبدالناصر عام ١٩٦٠ باعتبارها جماعة محظورة.. ومنذ ذلك العهد وحتى الآن مازال شهود يهوه يمارسون نشاطهم فى مصر سرا تحت ستار الأعمال الخيرية وينتشرون فى القاهرة وبعض محافظات الصعيد ويقدمون الأموال ودعوات الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ولا ينصب اهتمامهم على أبناء الديانة المسيحية فقط بل وإلى

المسلمين أيضا فهم لا يفرقون كثيرا بين أتباع الديانتين فالكل فى نظرهم يتبع الباطل وهم فقط أتباع الحق..

وكان تسلل «الشهود» إلى المنطقة العربية واحدة من إنجازات «جوزيف راذرفورد» الذى أقام مع زوجته وابنه فى القصر الذى بناه لاستقبال الرسل إبراهيم وإسحق ويعقوب حتى مات عن عمر يناهز «٧٥عاما» وهو مقيم فيه عام ١٩٤١. ليواصل من بعده «ناثان الذى كان التلميذ المخلص الأمين لجوزيف وأصبح من بعده الرئيس الأعلى لمنظمة شهود يهوه بعد رحيله.

ولد ناثان عام ١٩٠٥ لأبوين يعتنقان البروتستانتية.. والتحق بالشهود فى سن مبكرة بعد أن استمع إلى عظات ومحاضرات «جوزيف» وتولى المنظمة عام ١٩٤٢ وعمره «٣٧عاما».. ولم يكن يمتلك قوة تأثير راسل فى أتباعه ولا بلاغة جوزيف وقدرته على الكتابة وكان يمتلك قدرة فذة على إدارة أمور الجماعة وتطوير منشآتها.. كان تفكيره يتسم بالجانب العملى والرغبة فى تطوير المنظمة ونشر دعوتها على نطاق واسع.. كان رجل إدارة جيدا ولم يهتم بادعاء النبوات ولكنه ساهم فى نشر أفكار الجماعة.. فعندما تولى رئاسة المنظمة كان عدد أتباعه يبلغ حوالى مائة وخمسين ألفا وبعد توليه وإنشائه المدارس والجامعات المتخصصة تضاعف العدد عدة مرات حتى بلغ حوالى ٢مليون شخص يتبعون مذهب شهود يهوه بكل تعاليمه.

فبعد أن تولى الرئاسة مباشرة كرس كل جهده لنشر مؤلفات أستاذه جوزيف راذر فورد وطبع الملايين من التسجيلات الصوتية لخطبه وقام بنشر ترجمة لتفسير الكتاب المقدس حسب رؤية الشهود وقام بتشكيل لجنة أطلق عليها اسم (لجنة الترجمة الجديدة العالمية لكتاب العهد الجديد) وذكر فى الترجمة الحديثة بأنه لا يوجد عهد قديم وعهد جديد للكتاب المقدس.. فهو أتى من وحى واحد هو الروح القدس.

وكان ناثان يرى أن قوة المذهب تأتى من ازدياد أتباعه والمدافعين عنه والمعتنقين لأفكاره.. ولكى يصل إلى هذه المكانة لابد من وجود دعاة مؤمنين بالمذهب دارسين له لديهم قدرة على الإقناع وتفنيد آيات الكتاب المقدس التى يؤمن بها عامة

المسيحيين وأيضا لابد أن يكون لديهم إلمام وعلم بالديانات الأخرى حتى يستطيعوا إقناع من سيتولون دعوته.. فأسس فى بروكلين بنيويورك مدرسة «جلعاد» لتخريج الدعاة وجلعاد كلمة عبرية تعنى «الشهود» وكان المتخرج يحمل لقب «جلعادى» بعد أن يمضى سبع سنوات فى الدراسة تحت إشراف هيئة تدريس مكونة من خمسين أستاذا من كبار الشهود.

وإلى جانب اهتمامه الشديد بتخريج دعاة أقوياء اهتم أيضا بتطوير المنشآت الخاصة بالمؤسسة إلى جانب نشاطه الشديد فى السفر إلى كل دول العالم وعقد مؤتمرات كان يحضرها الآلاف من الشهود وكان يهاجم أمامهم كل الأديان وتحديدا المسيحية والإسلام ليحظى بتصفيق هائل.. واستمر ناثان فى نشاطه حتى توفى عام ١٩٧٧ ليترك خلفه مؤسسة هائلة تمتلك واحدة من أضخم المطابع فى العالم ومكاتب منظمة لإرسال الدعاة والمنشورات والمطبوعات بكل لغات الدنيا تقريبا إلى جانب مدارس وجامعات ومستشفيات ليصبح ناثان أحد أهم رموز الجماعة بعد أن استطاع تثبيتها وتقويتها.. ليأتى الدور بعد ذلك على الزعيم الرابع لشهود يهوه «فردريك فرنز» الذى كان يمتلك تاريخا مؤثرا فى تنظيم الشهود فهو عاصر وتتلمذ على أيدى الزعماء الثلاثة.. وامتلك خبرة هائلة فى العمل السرى داخل صفوف الشهود وأيضا فى تدريس المذهب والدعوة له..

ولد فردريك وليم إدوارد فردريك هانز فى عام ١٨٩٣ لأبوين من أصل ألمانى.. كان والده يعمل خبازا وأحد أتباع الكنيسة اللوثرية.. وهو ما جعل فردريك ينشأ فى بيئة بها الكثير من التحرر الدينى.. الذى لم يمنع عائلته من إلحاقه بمدرسة دينية.. فى سنوات عمره الأولى.. ليستكمل تعليمه بعد ذلك فى مدرسة وود وارد الثانوية ثم جامعة سينسيناتى بقسم الفنون الحرة فى نفس الوقت الذى حرص فيه على دراسة الكتاب المقدس باللاتينية.

كان يمكن لفردريك أن يستكمل حياته بشكل هادئ وعادى لولا أن حدثت صدفة فى حياته غيرت كل ما كان يخطط له.. ففى إحدى ليالى شهر مارس عام ١٩١٣ ذهب مع شقيقه الأكبر لزيارة منزل صديقة لهم تقيم مع والديها وكان معهم

أحد أصدقائهم.. وبعد أن تناولوا العشاء دار بينهم حديث حول الدين.. فقد كانت العائلة التى تستضيفهم من أتباع «الراسليين» وسرعان ما اجتذب الحوار فردريك وزاد اهتمامه بعد أن رأى أعدادا من مجلة برج المراقبة فطلب من مضيفيه بعضا من كتب المذهب فأعطوه مجلدات كتاب «دروس فى الأسفار المقدسة».. قرأها بشغف شديد.. فطلب من أصدقائه الجدد التعرف بالجماعة.. التى سرعان ما انضم إليهم وأعلن عن انتمائه بقطع كل صلة له بكنيسته وانضم إليهم ليدرس المذهب بتعمق.. ولم تمض إلا شهور قليلة على انضمامه إليهم حتى قرر التفرغ الكامل من أجل تكريس نفسه للدعوة.. فترك الجامعة وأصبح موزعا للمطبوعات أى «خادم».. ووهب حياته كلها من أجل شهود يهوه خاصة بعد أن التقى بتشارلز راسل.. وواصل جهوده مع جوزيف راذر فورد الذى كان يرى فيه خطيبا مفوها وداعية مخلصا للشهود فقربه منه حتى كان هو مساعده الأول فى جولاته الدعوية وعندما خلف ناثان جوزيف أوكل إلى فردريك مهمة السفر والتنقل حول العالم لمتابعة الدعاة المنتشرين فى كل البلدان ولخبرته الهائلة فى العمل السرى كان مسئولا عن تكوين ومتابعة خلية سرية للشهود تعمل فى أسبانيا.. وتحديدا فى برشلونه.. وهو أمر كان يتطلب الحذر الشديد والتسلل بهدوء داخل المجتمع المسيحى المحافظ فى أسبانيا.. حتى وصل أمرهم إلى رجال الأمن الذين سارعوا بالقبض على المجموعة كاملة ونقلهم إلى أماكن التحقيق فى سيارات مغلقة واستطاع فردريك وهو المسئول الأول عن المنظمة فى أسبانيا أن يفلت من إدانته.. فادعى أنه لا يعرف الإسبانية ولا سبب وجوده بين المقبوض عليهم.. ولأنه مواطن أمريكى تم الإفراج عنه ومعه جماعته.. وعاد مرة أخرى إلى إسبانيا فى عام ١٩٧٠ بعد أن افتتحوا مكاتب لشهود يهوه رسميا بعد أن سمحت إسبانيا لهم بذلك وبعد وفاة ناثان.. تولى فردريك رئاسة المنظمة تقديرا لجهوده الهائلة فى نشر المذهب فى كل أنحاء العالم الذى يقدر عدد أعضائه بحوالى ٢٠مليون شخص فى العالم.. منهم عشرة ملايين شخص فى الولايات المتحدة الأمريكية وحدها من بينهم عدة مشاهير.. وأكثرهم شهرة على الإطلاق المغنى الراحل مايكل جاكسون.

ويعد مذهب شهود يهوه من أخطر المذاهب على الإطلاق فهو يحظى بدعم هائل من زعماء اليهود وأثريائهم فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى إنجلترا وفرنسا وغيرها من البلدان المتواجدين فيها فالمذهب مرتبط ببداية فكرة الدولة اليهودية على أرض فلسطين «فشهود يهوه» أيديولوجية صهيونية تسعى لتشكيك الإنسان فى دينه سواء كان مسيحيا أو مسلما ويساعد على انتشارهم التمويل الهائل الذى يقف وراءه زعماء اليهود وأثرياؤهم.. ولذلك نجدهم ينتشرون وبقوة فى الأماكن الفقيرة المكدسة وفى المناطق النائية البعيدة. خاصة أنهم مازالوا يمارسون أسلوبهم القديم فى التبشير بالذهاب والطرق على المنازل. وتخريب العقول والقلوب والأديان.